مجلة "آفاق فكرية"

ص. ص. 340 - 357

رت م د: 2353 - 0367

رت م د إ: 2602-5507

الوجه الآخر للمعايير الأخلاقية الأوربية:
السياسة الفرنسية لتغيير هوية الجغرافيا ـ الجزائر ـ أنموذجا

The other side of European ethical standards
The French policy to change the identity of geography - Algeria - a model

حمدي عمر

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة (الجزائر)، amar.hamdi69@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/07/12 **تاريخ القبول:** 2021/10/09 **تاريخ النشر:** 2021/12/30

ملخص:

أجمع الأوربيون على معايير موحدة لحقوق الانسان واحترام المثل العليا وحقوق الفرد والجماعة، لكن المعاملة مع الشعوب الأخرى أخذت شكلا آخر، إذ كانت لا تتم وفق مبادئ أو قوانين أخلاقية إنسانية، بل يحكمها انغلاق التفكير الأوروبي، على أفق النظرة المركزية الأوربية الضيقة، التي تسللت لأدبياتهم من موروثهم الثقافي والديني والعرقي، فأنتجت سياسة احتلال أرض الغير واستبدال شعب بشعب آخر، و ثقافة بثقافة، تلك السياسة تبنتها كل الدول الاستعمارية الأوربية ومنها فرنسا، والعجيب أن تلك الممارسات دافعت عنها نخب أوربية مثقفة، من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، وقد تعرضت الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي لتلك السياسة، وحول هذا الموضوع نحاول إلقاء الضوء.

كلمات مفتاحية: معايير أخلاقية، أوربا، فرنسا، الجزائر، هُوية.

Abstract:

Abstract: The Europeans agreed on unified standards for human rights and respect for the ideals and the rights of the individual and the group, but the treatment with other peoples took another form, as it was not carried out according to humanitarian principles or laws, but rather it was governed by the closed European thinking that characterized some elites, according to the narrow view Which was produced by the theory of Eurocentrism, which infiltrated their literature from their cultural, religious and ethnic heritage, thus producing a policy of occupying a land that is not theirs, replacing a people with another people, and replacing one culture with another, this policy was adopted by all European colonial countries, including France, and it is strange that these bad practices defended About it European elites from the far right to the far left, under flimsy arguments, and Algeria was not spared during the French occupation from that policy, and in this We deal with the research paper on this topic.

Key words: Ethical standards ،Europe ،France ،Algeria ، identity.

www.maharaa.com

مقدمة:

لم تستطع أوربا خلال تاريخها الحديث والمعاصر، أن تتخلى عن أنانيتها المفرطة، والتي مست جوانب كثيرة من علاقات الأوربيين مع غيرهم من الأمم، ولا يمكن للباحث أن يحصي تلك الجوانب، لكن يمكن الإشارة لبعض المؤاخذات التي بقيت وصمة عار في جبين التاريخ الأوربي، ومنها إيمانهم بفكرة المركزية الأوربية [1]، ونقضهم للعهود أو التحايل عليها، وإبادتهم لشعوب بأكملها، واستغلالهم البشع للشعوب المقهورة، إضافة لاتباعهم سياسة فرق تسد في المستعمرات، عبر استغلالهم للتناقضات والاختلافات داخل الوطن الواحد، من أجل بث الفرقة والشقاق بين السكان، حتى لا يتسنى للشعوب المقهورة من الاستفادة من عامل الوحدة في مواجهة مشاريع الاستعمار، وكذلك حتى يتسرب مشروعهم الثقافي الاستعماري، ويجد له موطئ قدم دون ان يثير الانتباه، وتلك السياسة ساهمت في استفحال النزعات العرقية والدينية والقبلية التي زرعها ونفخ فيها الاستعمار، والذي لم يكتف بذلك، بل عمل على محاربة الشعوب في هُويتها لفرض هُوية الغالب.

ومن جهة أخرى كانت كل جوانب المعاملات الأوربية تجاه الآخر، تتسم بنوع من الغدر والتلاعب، لم تسلم منه حتى العاملات على أعلى مستوى، والمقصود الاتفاقيات والمعاهدات الموقعة باسم الدول، وكجزء من هذا كانت الكثير من الاتفاقيات والمعاهدات لا تتم كما تم الاتفاق عليه، بل يكيّفها الأوربي حسب هواه والمصلحة وميزان القوة، وكانت المعاهدات الأوربية مع غير الأوربيين عادة ما كانت مقدمة لكوارث مكنت للاستعمار قرونا عديدة، أو كانت مدخلا ووسيلة لإبادة أهل البلاد كما حدث في أمريكا الشمالية،

ومنذ نهاية الحروب الدينية في القرن السابع عشر وضعت أوربا أسس جديدة للعلاقات الدولية والدبلوماسية، إلا أن علاقاتها مع الغير شهد فترات مظلمة، وشواهد لا تنسى من الغدر والتلاعب، بدءا بالحروب الصليبية حيث كان الغدر ملازما لتلك الحملات، مع المسيحيين الشرقيين ومع المسلمين واليهود على حد سواء، مرورا بغدر الاسبان بالمسلمين في بغرناطة، ونقض الفرنسيين لعهدهم قبل أن يجف مداده عند دخولهم للجزائر، أما تاريخ بريطانيا مع القارة الأمريكية فقد بلغ المنتهى في الغدر والإبادة.

ولم تكن هذه الأفعال معزولة، بل كانت مخطط له وبرضى من الجميع، عبر الإشادة والتشجيع تارة، أو بالإيحاء أو بالسكوت المعبر عن الرضى تارة أخرة، وهذا كله ناتج عن انغلاق

www.manaraa.com

التفكير الأوربي، من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، على أفق النظرة المركزية الأوربية الضيقة التي جمعت بين العنصرية العرقية والتعصب الديني، ذلك أن الأدبيات اليهودية التي تتكلم عن شعب الله المختار واستعباده للشعوب واستحلاله لما في أيدي الغير، قد تسللت الى الثقافة الأوربية مع الاصلاح الديني، بداية العصور الحديثة، ووافقت هوى موجود، غذته الروح الصليبية لدى بعض رجال الكنيسة الكاثوليكية المتعصبة والمنغلقة آنذاك، على فكرة امتزجت فيها عقيدة الاختيار الالهي، والاعتقاد بالتفوق العرقي للأوربيين على باقي شعوب العالم، وأصبحت هذا العقيدة جزءا من موروثهم الثقافي الديني والعرقي، بل وأصبحت أهم الثوابت التاريخية التي قام عليها التوسع الأوربي، خاصة الانجليزي في أمريكا واستراليا.

1. علاقة الأوربيين بالأخر وازدواجية المعايير:

1.1. العلاقات الداخلية الأوربية:

بما أن كراهية الآخر كانت تغذيها عوامل عدة لدى الأوربيين، فإن ظهور أراء مناقضة لما هو سائد، في ظل حركة الاصلاح الديني أعطى مبررا كافيا لشن حرب دينية داخلية، عاشت أوربا أهوالها سنوات عديدة، فمع انطلاق الحروب الدينية في أوربا أو ما يعرف بحرب الثلاثين عامًا (بالإنجليزية: Thirty Years 'War)، وهي سلسلة صراعات دامية مزقت أوروبا في عام 1618و1648م، بين الكنيسة الكاثوليكية وأنصار المذهب البروتسانتي، بدأت المعارك في ألمانيا والأراضي المجاورة، ثم امتدت إلى فرنسا وإيطاليا خلال سنوات، في البداية اندلعت كصراع بين الكاثوليك والبروتستانت وانتهت كصراع سياسي من أجل السيطرة على الدول الأخرى، ونظرا لقسوة هذه الحروب وارهاقها، واستحالة القضاء على الطرف الآخر، فقد سعي الأوربيون لوضع حد للفوضى عن طريق التفاهم، وفرض قواعد للقانون الدولي، والمقصود هنا العلاقات البينية الأوربية، بإقامة نوع من مكاتب الاتصال كنوع من وسائل الانذار المبكر لتفادي الاشتباك، فجاءت فكرة السفارات الدائمة.

وبحلول اواخر القرن السابع عشر كانت معظم الدول الكبرى الأوروبية تتبادل السفارات الدائمة في أوقات السلم (بلاك، 2013، صفحة 109)وكانت البندقية أول دولة أنشأت نظام لتعيين سفراء دائمين (نصار وآخرون، 2009، الصفحات 1487-1488)، وقد مثلت حروب نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر، التي انهت الصراع في أوربا الغربية، سببا لإنشاء سفارات دائمة بين خطوط الانقسام، ووفرت وظائف استماع للرأي الآخر، وخلفت مراسلات

www.manaraa.com

ورسائل دبلوماسية آنذاك، مثل مبعوثي هولندا في باريس والبندقية وبعثة اسبانيا في لندن (بلاك، 2013، صفحة 99).

أخذت الدبلوماسية تلعب دورا متزايدا وفق نمط جديد للعمل الدبلوماسي، بعد معاهدة ويستفاليا سنة 1648، التي كانت نقطة انطلاق في ترسيخ فكرة السيادة والنظام الدولي، المرتكز على: -حرية الأمراء(خاصة الألمان)، في ممارسة سياستهم الخاصة بهم، والتحرر من وطأة وجبروت نظرية الوحدة المسيحية(التي كانت يستغلها سدنة الامبراطورية الرومانية المقدسة منذ القرن التاسع)،- وأن لكل دولة كيان ذو سيادة لا يمكن مسائلته من قبل أحد (بلاك، 2013، صفحة 104)،

وقد حمل الاضطراب في الألقاب الدبلوماسية ومسائل الأولوية، لأن يقرر مؤتمر فيينا 1815 على وضع ترتيب للوظائف الدبلوماسية (نصار وآخرون، 2009، الصفحات 1487-1488)

إلا أن الملاحظ أن هذا التطور الحاصل لتنظيم العلاقات الدولية، كان يحمل نوعا من النظرة الدونية للآخر، إذ بقيت مسألة علاقة الأوربيين بغيرهم لا تخضع لنفس الاعتبارات التي بين الأوربيين، وأحسن مثال على ذلك الازدواجية في المعاملة وتفسير القوانين مع الدولة العثمانية ومع الدول المغاربية. وهو نحاول دراسته من خلا معرفة نوع العلاقة التي تقيمها فرنسا مع الجزائر.

2.1. تأثير النظرة الدينية على رواد الاستعمار:

ليس من السهولة على الفرنسيين تجاوز تاريخ الابنة البكر للكنيسة، حتى وإن ادّعوا العلمانية، ورفعوا شعار الحرية والعدالة والمساواة، فذاكرة الحروب الصليبية ما زالت قريبة العهد، والشيء من معدنه لا يستغرب، فالحروب الصليبية التي كان هدفها الشام وفلسطين لم تستثني في طريقها لا المسيحيين ولا اليهود، تلك الحملات التي كان لفرنسا دور محوري فيها، وللتذكير بموقع فرنسا في الحروب الصليبية نذكر ما يلي:

- أن البابا أوربان الثاني **Urbain II** اختار مدينة كليرمون **Clermont** الفرنسية ليعقد فيها المجلس الكنسي الخاص بإعلان الحروب الصليبية.
- قائد الحملة الروحي كان أسقف مدينة لوبوي **Le Puy** الفرنسية إديمار دي مونتي **Adhemar de Monte**

www.manaraa.com

- أن الحملة الصليبية الشعبية انطلقت من فرنسا، والتي قادها راهب مدينة اميان Amiens الفرنسية بطرس الناسك Pierre l'Ermite، والقائد والتر المفلس Gautier Sans-Avoir وهو من بواسي pwasi الفرنسية.
- أن الحملة الصليبية الأولى كان قوامها خمسة جيوش، كانت منها أربعة جيوش فرنسية، من المقاطعات التالية: اللورين Lorraine، تولوز Toulouse، والبروفنسال Provence، النورماندي Romandie، والرابع يمثل ملك فرنسا (السرجاني، 2009، الصفحات 54 .56 . 74.75).

إن الظاهرة الاستعمارية في تمثلاتها رغم طابعها المادي البحت لا يمكن فصلها عن معينها الأول وهو التفسير الديني، والذي أعطاها سندا قويا، و من أهم الثوابت التاريخية التي قام عليها التوسع الأوربي- في أمريكا وأستراليا خاصة الانجليزي منها - نذكر مايلي : عقيدة الاختيار الإلهي والتفوق العرقي، وحق التضحية بالآخر، فالإنجليز غزو أمريكا وحملوا معهم فكرة مسبقة عن أمريكا نسجوها من فكرة اسرائيل التاريخية (السماك، 1993، الصفحات 33-34)،

إن فكرة احتلال أرض الغير، واستبدال شعب بشعب، وثقافة بثقافة، وتاريخ بتاريخ، وإن والمعاملة الدونية للسكان الاصليين في نظر الاستعمار الأوربي، لا تخضع لمبادئ أو قوانين اخلاقية انسانية، بل يحكمها ما نسجه العبرانيون من أساطير عن تجربتهم مع الكنعانيين في فلسطين، لهذا أطلق الانكليز اسم الكنعانيين على الشعوب التي أبادوها فاستنسخوا أحداثها، فأمريكا في نظرهم تمثل كنعان الجديدة، فهذه كنعان المجاز خطوة على طريق كنعان الحقيقة –فلسطين (العكش، الإبادات الثقافية، 2009، الصفحات 9 -11)

إن وصف الأخر بالكنعاني سواء في الأساطير العبرية المقدسة، أو في تطبيقاتها التاريخية في أمريكا، وأستراليا، وجنوب إفريقيا، أو أي مكان زحف له الإنكليز والأوربيون، يعني الاستباحة المطلقة لحرية هذا الآخر، ولأرضه ورزقه وجسده وحياته) (العكش، الإبادات الثقافية، 2009، صفحة 32)، وقد تسربت الأدبيات اليهودية عبر حركة الاصلاح الديني الى صميم العقيدة المسيحية والتي تدور حول أمور ثلاثة :

- أولا/ أن اليهود هم شعب الله المختار.
- ثانيا/ ان هناك ثمة ميثاقا إلاهيا يربط اليهود بفلسطين.

www.manaraa.com

- ثالثا/ ربط الايمان المسيحي بعودة المسيح وببناء دولة صهيون، أي تجميع اليهود بفلسطين ليظهر المسيح فيهم، فقد نشر مارتن لوثر **Martin Luther** كتابا بعنوان عيسى ولد يهوديا جاء فيها « ان اليهود هم أبناء الله، لذلك فإن علينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل مما يتساقط من مائدة أسيادها كالمرأة الكنعانية تماما» (السماك، 1993، الصفحات 33-34)،وجاء في محاضر جلسات الكونغرس رقم 33 الجلسة 23(يجب مساعدة الحضارة على إبادة الهنود الحمر كما أمر الله يشوع أن يبيد الكنعانيين الذي لم يكونوا يختلفون عن هنود اليوم، ثم أنه عوقب على تقاعسه عن الانصياع لأمر الله) (العكش، الإبادات الثقافية، 2009، صفحة 13).

3.1. ظاهرة الاستعمار الحديث تكشف ازدواجية المعايير الاخلاقية الأوربية:

لا يمكن أن تخفى على دارس التاريخ الأوربي الممارسات العنصرية، فهناك أمثلة تاريخية كثيرة عن ازدواجية المعايير الاخلاقية الأوربية، باحتقارهم للأجناس الأخرى في كثير من المناسبات، أبسطها مثالا مسألة اتفاق الأوربيين على تجريم استعمال بعض الأسلحة ضد الأوربيين والسماح باستعمالها ضد غيرهم، ومثال على ذلك الرشاش اخترع سنة 1884، حيث جرب أولا في المستعمرات، والأمر كذلك بالنسبة لنوع من الرصاص الفتاك، الذي تم حضر استعماله في أوربا، بموجب اتفاقية دولية في لاهاي سنة 1899، مع السماح باستعمالها ضد الحيوانات الكبيرة وفي الحروب فيما وراء البحار؟ (قرانميزون، 2008، صفحة 418)،

ويظهر لنا أن الأمر كان على مستوى عال من التخطيط والتنفيذ، أي أن مسألة سياسة العنف تجاه الآخر ليست تفكير واستراتيجية عسكرية ظرفية فحسب، بل هي أبعد من ذلك، إذ شملت وشغلت عقول السياسيين، فهذا إليكسي دو طوكفيل **Alexis de Tocqueville** [(2)] النائب في البرلمان الفرنسي الذي ساند الغزو الفرنسي للجزائر منذ 1828، وبعد الغزو رأى أن مسألة الوجود الفرنسي في الجزائر، لن تتم إلا بوسائل يراها ضرورية وهي الابادة، فهو لا يجد حرجا في: « إحراق الغلال وإفراغ المطامير، والاستيلاء على الرجال العزّل من السلاح والنساء والأطفال» (طوكفيل، 2008، صفحة مقدمة و48) ويضيف **Tocqueville** : « لن نقضي على عبد القادر إلا بجعل حياة القبائل المنضوية تحت لوائه لا تطاق.. وهذه حقيقة بديهية ينبغي التسليم بها....ينبغي اللجوء إلى كل الوسائل التي بإمكانها تدمير القبائل ... ثم الوسيلة الأكثر فعالية

www.manaraa.com

منع التجارة ....ونهب البلد إما بإتلاف المحاصيل وقت الحصاد والقيام بالغارات السريعة للاستيلاء على الرجال والقطعان » (طوكفيل، 2008، صفحة 48 .49). من خلال رصد ما كتبه دوطوكفيل يمكن تلخيص الوسائل التي على فرنسا أن تقوم بها حسب رأيه وهي: الحرب أولوية الحرب على الدبلوماسية في مواجهة الأمير عبدالقادر. واتباع سياسة الأرض المحروقة عبر حرق المحاصيل وإفراغ المطامير. وأخذ الرجال والنساء والأطفال رهائن وتخريب المدن والتجمعات السكانية (طوكفيل، 2008، صفحات 33-66). وقد ظهرت مع بدايات الاحتلال أصوات تنادي بإبادة العرب في الجزائر، كما فعلوا بالهنود الحمر في أمريكا، والأبوريجين في استراليا، ومن هذه الأصوات، نجد الطبيب أوجين بوديشون **Eugène Bodichon**، وهو جمهوري كان يقطن الجزائر، الذي يرى أن اندثار العرب ضروري وإيجابي لتطور البشرية (قرانميزون، 2008، صفحة 20)

4.1. غرابة موقف اليسار الأوربي من الإبادة:

من المفارقات العجيبة في السياسة الأوربية، أن الدعوة للإبادة لم تكن محصورة في أنصار الرأسمالية والبورجوازية الأوربية، يل تبناها صفوة اليسار الأوربي، هنا يطرح تساؤل، هل تحولت إلى مسألة عرقية؟، وإلا كيف نفسر أراء أعلى هرم التيار اليساري الأوربي، وأكبر منظري الشيوعية، في نظرتهم لغير الشعوب الأوربية، وحتى الجزائر لم تسلم منهم، وينقل قراميزون عن انجلز **Friedrich Engels** [(3)] بأنه هلّل لهزيمة الأمير عبد القادر قائلا «إن هؤلاء البدو شعب جعل من النهب وسيلة عيشه الأساسية، يقتل ويسرق، والاستعمار يحظى بمزايا، أنه يقضي على العالم المتوحش » ، ونجد تلك النبرة في كلام إنجلز **Engels** عن الجزائر، في مقال له لدائرة المعارف الأمريكية سنة 1858عند كلامه عن أخلاق بعض مكونات الشعب الجزائري، بأنها «هابطة إلى أقصى درجة»؟، وحتى اللغة العربية لم تسلم منه وطال احتقاره لها، وقال إنجلز «أنه يكرهها وأنه فضل الفارسية عليها»؟ (قرانميزون، 2008، صفحة 48 . 52).

وليس إنجلز لوحده، كذلك زميله ماركسKarl Marx، فكلاهما لم يندد بالاستعمار خارج أوربا، لأن الاستعمار في نظرهما مرتبط بالفلسفة التاريخية؛ وفي نظرهما أنه وفق حركة تاريخية حتمية، يعتبر الاستعمار أول حركة لهذه الحتمية، للوصول للقضاء على «العالم المتوحش»، فماركس الذي عاش في الجزائر بضعة أشهر من سنة 1882، في سياق كلامه حول التوسعات الأوربية، وتوسعات بريطانيا في الهند، لم يسلم من الروح العنصرية؛ حين أيد بطريقته؛ بل وبرر الابادة ضد الشعوب غير الأوربية حيث يقول «... ومهما حزنا شخصيا على مشهد اندثار عالم قديم

www.manaraa.com

إلا أنه يحق لنا من الناحية التاريخية أن نقول مثل ما قال غوته **Goethe يجب أن تحرق ألف وردة لكي تنتج قارورة عطر صغيرة...**» وهذه المقولة- لماركس **Karl Marx**[4]- تحمل دلالات عنف عارم، في موازنته بين الحرق والسحق الذي تتعرض له الوردة والإبادة التي تتعرض لها الشعوب، النتيجة القضاء على أمم وشعوب، باسم حركة تاريخية حتمية هي في نظرهم لا يمكن تفاديها، أي ان المجازر المقرفة لا ينظر إليها على أساس أنها جرائم، بل وأكثر من ذلك حين اتُّهم كل من تجرأ بالتعبير عن اشمئزازه من تلك الممارسات؛ **اتُّهم بالعاطفة المعطلة للتقدم العلمي** (قرانميزون، 2008، صفحة 54).

إذا كانت هذه فلسفة نخبة أوربا التي تدافع عن الاشتراكية والعدالة وحقوق الانسان، معنى ذلك أن لا حدود لقسوة دعاة الرأسمالية والاستعمار، ومن المفارقات العجيبة أن الذي كان سببا في الثورة الفرنسية هو عدم وجود عدالة، واعتبروا فرنسا القرن 18 ضربا من الرجعية، بل يزايدون على الأمم الأخرى بثورتهم، إلا أن الفرنسيين في الجزائر كانوا، بعد عهد التنوير والديمقراطية، أشد من يدافع باستماتة عن اللاّعدالة في الجزائر (حميطوش، 2013، صفحة 22).

2. تاريخ العلاقات الفرنسية مع الجزائر تاريخ حافل بالكيد:

1.2. دبلوماسية فرنسا مع الجزائر وصورة عن ازدواجية المعايير:

إن العلاقات الدبلوماسية منذ القدم تسير وفق الأعراف الدولية لكل زمن، والدارس لتاريخ العلاقات الجزائرية الفرنسية، يندر أن تجد ثباتا فرنسيا على العهود، أو اعترافا بالجميل، حتى وإن بذلت الجزائر لأجل صداقة فرنسا الكثير، وإلا كيف نفسر وجود سبعين معاهدة، يندر أن تجد ثباتا فرنسيا على العهود في كل هذه المعاهدات، أو اعترافا للجزائر بالجميل (نايت بلقاسم، 2013، صفحة 14).

وعليه فإنه لا يمكن تحديد الخطوط العامة للسياسة الفرنسية تجاه الجزائر، إذ انها تتعامل مع الجزائر بوجهين، ففي حالة قوة الجزائر، تظهر فرنسا الحرص على الالتزام بالأعراف الدبلوماسية، والحرص على التذكير بها، أما في حالة ضعف الجزائر فإن كل شيء جائز لفرنسا، ولا وجود لأخلاقيات وأعراف أو اتفاقيات،

وقد كانت فرنسا تمارس نوعا من الخداع والكيد منذ وقت مبكر تجاه الجزائر،وتستغل حالة السلم مع الجزائر للتجسس على الجزائر عبر ممثليها في الجزائر، فكانت الممثليات القنصلية

www.manaraa.com

والمهمات الدبلوماسية الفرنسية في الجزائر، لا تعدو كونها ضحك على الذقون وتمثيل لربح الوقت، فليست كما تدعي فرنسا، أنها مصالح متبادلة (زوزو، 2008، صفحة 19)

بل يظن الباحث أن الخداع عند الأوربيين في صلب العمل الدبلوماسي، فغدت معاهداتهم خداع، وقناصلهم وسفرائهم جواسيس، وسفاراتهم أوكار تحاك فيها أطراف خيوط مؤامرة ما، وتاريخ العلاقات الجزائرية الفرنسية يشهد على عدم صدق فرنسا، فالواجهات الدبلوماسية كانت تخفي ورائها أعمال قذرة، ومؤامرات ما ضد البلد المستضيف، هذا الكيد ناتج عن حقد متجذر تجاه الجزائر، نظرا لتراكم الذاكرة بالهزائم الأوربية أمام الجزائر، فهذا يحي بوعزيز يحصي 22 حملة أوروبية كبرى على الجزائر تبدأ في 1505 مع حملة «بيدرو نافارو» **Pedro Navarro** [(5)] الإسبانية وتنتهي بحملة الضابط الفرنسي "دي كولات **De Kolat** في 1827م (بوعزيز، 2009، صفحة 17.18) .

لقد دأب الاستعمار الأوربي الحديث، قبل إعلان الهيمنة على بلد ما، على إتّباع طرق متشابهة، تبدأ بالاكتشاف ثم طلب الصداقة، فإذا وقعت الثقة يلتمس إقامة مأوى، مع الوقت يحصن بالمدافع كنواة مستعمرة قابلة للتوسع، وهذا ما أراده الفرنسيون من مشروعهم في القالة، الذي بدأ كامتياز لصيد المرجان، وحاول الفرنسيون توسيعه وتسليحه بحجة الاحتماء من غارات القبائل، غير أن حكومة الجزائر تفطنت للأمر آنذاك، وقد قامت مرات عديدة، بهدم الحصن مباشرة بعد تسليحه من قبل الفرنسيين، وبذلك فإن مسألة الغزو الفرنسي للجزائر لم تكن اعتباطية أو ارتجالية، بل لقد خطط لها على أعلى مستوى حيث ثبت أن الحكومات الفرنسية كانت تكلف السفراء والقناصل بمهمات الجوسسة على الجزائر، حيث بدأ وضع أول مخطط للغزو من طرف سفير فرنسا في الجزائر السفير "كارسي سنة" 1782، وتكررت مثيلاتها لسفراء وقناصل آخرين، لقد تم خلال الستين السنة الأخيرة قبل الاحتلال القيام بإنجاز عشرين عملية تجسس، من قبل السفراء والقناصل الفرنسيين الموجودين في الجزائر، وآخرها مشروع اللجنة العسكرية أكتوبر 1828م كخطة غزو نهائية (بنور، 2008).

ومن أشهر المهمات التجسسية الفرنسية على الجزائر نجد مهمة الضابط "بوتان التجسسية في الجزائر، في عهد نابليون والذي كان ينوي إنشاء جبل طارق فرنسي في الجزائر (ساحلي، 2013، صفحة 104)، وقد قدم بوتان للجزائر، بزي مدني على متن سفينة الروكان، وقد قام بجولات سياحية وتجاوز الحدود المخصصة للأوربيين وقد عوقب الأعوان الجزائريون على

www.manaraa.com

مرافقتهم للجاسوس الفرنسي الذي كان محل شك الداي، وأعد بوتان تقريره بعنوان "إطلاع عام عن المدن والموانئ والمدفعيات بمدينة الجزائر سيخدم مشروع النزول والاستقرار النهائي بهذا البلد" (أشنهو، 2013، صفحة 41).

ولم ينحصر الكيد على الفرنسيين لوحدهم، بل تعداه ليشمل الأوربيين والأمريكيين، فهذا السفير الأمريكي في الجزائر وليام شالير William Schaller [6] الذي كان له لأصدقاء من رجال الحكم في الجزائر يقترح في كتابه المطبوع في بوسطن سنة 1826 خطة لإسقاط واستعمار الجزائر لا تختلف عن الخطط التي وضعها السفراء الفرنسيين، ومنهم الجاسوس بوتان، وقد ترجم هذا الكتاب الى اللغة الفرنسية من قبل المترجم الرسمي للملك شارل العاشر، الذي نفذ احتلال الجزائر، وهو دليل على ارتباط ما جاء في الكتاب بالحملة، حيث وردت فقرة في مقدمة المترجم للفرنسية يشيد بنصائح المؤلف وبأن الجيش سيأخذها بعين الاعتبار (شالر، 1982 ، صفحة تعليق المترجم)

2.2. ممارسات الاستعمار الفرنسي للجزائر والوجه الحقيقي لفرنسا:

عرف تاريخ العلاقات الجزائرية الفرنسية سلسلة من الدسائس الفرنسية تجاه الجزائر، فبينما كانت حكومة الجزائر تعامل الدولة الفرنسية في كثير من الأحيان كحكومة صديقة، لها أفضلية في المعاملة، كانت الحكومات الفرنسية حتى بعد الثورة الفرنسية، تنطلق من خلفيتين في التعامل مع الجزائر أولا أثر أحقاد الحروب الصليبية، فهي تنظر للجزائر كشر لا بد من التعامل معه وتنتظر لحظة القضاء عليها، والثاني القاعدة المصلحية حيث تعتبر الصداقة لا شيء أمام المصلحة (بوعزيز، مع تاريخ الجزائر ، 2009، صفحة 55)، والدليل على عدم وجود اعتبار للأخلاقيات في تعامل ونظرة فرنسا تجاه الجزائر، نلتمسه من تاريخ العلاقات الدبلوماسية الفرنسية مع الجزائر ،ففرنسا وقعت مع الجزائر 58 اتفاقا ومعاهدة فقط في الفترة بين 1619-1830، وتولى رعاية مصالح فرنسا خلالها بالجزائر 60 قنصلا ونائب قنصل، وتردد على الجزائر96 محافظا ومبعوثا، ورغم عشرات الاتفاقيات بين الجزائر وفرنسا، فإن فرنسا لم تراعي ذلك في كل عهودها (بوعزيز، مع تاريخ الجزائر ، 2009، صفحة 55)، فلا يكاد يجف حبر الاتفاقية منها، حتى يتسبب الفرنسيون في النقض، فكان كل نداء للسلام أو وعد بالأمان إلا وتكشف الأيام أنه يحمل العكس تماما، ومن آخر تلك الوعود تلك العبارات التي تفيض رحمة وإنسانية في النداء الوارد في المنشور الشهير الذي

www.manaraa.com

سرب قبيل الاحتلال، والموزع على سكان العاصمة، وما فيه من عبارات تعطي الأمان وتعد بالسلام، واكثر من ذلك، بنود اتفاقية الخامس جويلية 1830 الممضاة باسم ملك ودولة فرنسا، والمتضمنة شروط التسليم وهي المحافظة على الأرواح والأملاك والمعتقدات ضربت بعرض الحائط.

وأدرك الداي حسين في أخر لحظه أن الأمور خرجت عن السيطرة ،فحاول أن يضمن بعده تعهدات مكتوبة من الفرنسيين، لقد كانت الشروط بعد الحاح من الداي، تتضمن احترام الاسرة والتجارة والتقاليد، تلك الشروط يراها البعض تدل على اهتمام الداي بمصير رعاياه وهو ما استطاع أن يقدمه بعد أن فقد كل شيء(الأشرف، 2007، الصفحات 48 -49)، لم ينته التنكر للعهود عند هذا الحد، بل كان النقض هو ديدن فرنسا، فالكثير من المعاهدات والالتزامات مع الأمير عبد القادر وقادة المقاومة، لم تحترم ولا واحدة منها، ذلك أن الذاكرة الأوربية، تحمل الكثير من الخيانات المتكررة، هذا التكرر لنقض المعاهدات يذكرنا بالمعاهدة المشؤومة بين سكان غرناطة والملكين الكاثوليكيين، والتي عبر عنها الشاعر الأندلسي الذي بعث رسالة استغاثة نظمت في قصيدة طويلة باسم أهل الأندلس، إلى السلطان العثماني بداية القرن 16، ومما جاء فيها قوله في مسألة غدر الملك الإسباني فريداند بعهده بعد أن وافق على شروط المسلمين :

ونبقى على آذاننا وصلاتنا ولا نتركنَّ شيئا من أمر الشريعة

فقـال لنا سلطانهم وكبيـرهم لكم ما شرطـتم كاملا بالزيـادة

فلما دخلنا تحت عقد ذمامهم بدا غدرهم فينا بنقض العزيمة (قنان، 2007، صفحة 45)

معنى ذلك إن تلك الضمانات المنصوص عليها، والوعود المزعومة باحترام كل المقومات من قبل الفرنسيين في الجزائر، اتضحت أنها خدعة، و هذا ما اعترف به أحد قيادات الحملة الفرنسية على الجزائر، وجاء على لسان الجنرال كلوزيل Clauzel نفسه، في رده على سؤال وجهه إليه حمدان بن عثمان خوجة الذي استفسر عن مصير الضمانات المقدمة باسم فرنسا وملكها، والتي ضربت بعرض الحائط، فرد الجنرال كلوزيل بكل تبجح قائلا له بأنها مجرد حيلة عسكرية؟

لقد دخل الفرنسيون العاصمة الجزائرية حاملين الوعود المعسولة، فكان أول شيء قاموا به، هو تنكرهم لكل وعودهم، وضربهم لمعاهدة 05 جويلية مع الداي وبنودها بعرض الحائط، فقيادات هذه الحملة كانوا بعقلية اللصوص في لباس جنرالات، همهم البحث عن أسطورة كنوز الداي، وهذا ما تشير له الرسالة التي ظلت طي الكتمان إلى وقت قريب والتي أرسلها سفير بريطانيا بالجزائر آنذاك السيد "سان جون San Jon، إلى حكومة بلاده، بتاريخ 04 أوت 1830م، فقد ذكر

www.manaraa.com

تقرير السفير الانجليزي بأنه قد تم إرغام الخزناجي على توقيع وثيقة رسمية مفادها أن الخزينة الجزائرية تحوي على 50 مليون قطعة ذهبية فقط، في حين كان الجميع يعلم أن قيمة ما هو موجود في الخزينة كان في حدود 750 مليون فرنك، ويضيف بأنه في الأسابيع الأولى للاحتلال تجاوزت قيمة المنهوبات 500 مليون فرنك ذهبي أي ما يعادل الآن 3 مليار أورو، كما يذكر تزوير قيادات الحملة الفرنسية لمستندات الخزينة الجزائرية بعد إتلافها (بياربيان، 2013، صفحة 154و287)،

والرقم الفرنسي المذكور تفنده مصادر اخرى، ففي هذا الإطار يذكر نصر الدين سعيدوني تقديرات الخزينة بالعملة الذهبية حسب احتمالات بعض المؤرخين المعاصرين لفترة الاحتلال كمايلي: ميرل **Merle** سنة1817 قدرها ب 68 مليون، شالير **Shaler** سنة 1822 قدرها 130 مليون دوفال Duval سنة 1922 قدرها 160 مليون (سعيدوني، 1975)

3. تشابه في الأفكار والوسائل : فرنسا على خطى بريطانيا:

1.3. الفرنسيون بالجزائر والتفكير في إعادة سيناريو إبادة الهنود الحمر:

1.1.3. تلازم الاستعمار والخراب في الكثير من بقاع العالم:

في رحلته الأسطورية على متن السفينة بيغل، إلى الكثير من بقاع أمريكا، لاحظ العالم داروين**Darwin** ، التلازم بين الاستعمار والقتل والإبادة، فقد ذكر في ملاحظاته (أنه حيثما خطا الأوربيون مشى الموت في ركابهم إلى أهل البلاد) (العكش، التضحية بالآخر، 2002، صفحة 22)

إن ذاكرة الأمريكيين من أصل أوربي تطاردها أشباح 112 مليون آدمي، ينتمون لأكثر من 400 شعب، من شعوب الهنود الحمر ذهبوا ضحية 93 حرب جرثومية شاملة (العكش، التضحية بالآخر، 2002، صفحة 16) وهذا ما اعترف به صاحب- كتاب دور الأمراض في التاريخ الامريكي- هوارد سيمبسون **Howard Simpson** حين قال: أن المستعمرين الانكليز لم يجتاحوا أمريكا بفضل عبقريتهم العسكرية أو دوافعهم الدينية...، بل بسبب حربهم الجرثومية التي لم يشهد لها التاريخ مثيلا (العكش، التضحية بالآخر، 2002، الصفحات 22-23) .

وهناك وثيقة تثبت استخدام الغزاة للسلاح الجرثومي عمدا وتؤكد إن إبادة الهنود بالسلاح الجرثومي، كان سياسة رسمية كقصة تسميم الزعيم تشيسكياك **CesekYak** ومن معه بأنخاب

www.manaraa.com

الصداقة الجماعية، فقد كتب القائد الإنكليزي العام اللورد جفري أمهرست Jeffery Amherst في عام 1736 م أمرا إلى مرؤوسه يطلب منه: "أن يجري مفاوضات سلام مع الهنود، ويقدم لهم بطانيات مسمومة بجراثيم الجدري لاستئصال هذا «الجنس اللعين» -حسب تعبيرهم-" وهناك وثيقة اخرى تتحدث عن إهداء أغطية مسمومة بجراثيم الجدري لهنود المندان في فورت كلارك نقلت إليهم في20-07- 1837 في تلك الفترة، وبذلك كان تسميم الهنود الحمر خطة منظمة تمارسها الدولة وبعض الشركات التجارية، والأدهى أنهم يقومون بذلك دون اكتراث، والادعاء بان إبادة 112 مليون هندي أضرار هامشية، تواكب انتشار الحضارة ؟ (العكش، التضحية بالآخر، 2002، الصفحات 47-50) .

2.1.3. انتشار الأمراض في الجزائر مع دخول الفرنسيين :

لا يمكن إنكار أن من بين أسباب ضعف الجزائر قبيل الغزو الفرنسي هو ضعف الجبهة الداخلية التي أنهكتها الثورات، والأوبئة، والمجاعات، والجراد، بين 1790-1823، وزادها سوءا الحصار المضروب على الجزائر من قبل الأسطول الفرنسي بعد حادثة المروحة (ساحلي، تخليص التاريخ من الاستعمار، 2013، صفحة 108 . 112)

لكن ما هو معلوم كذلك أن بعض الأوبئة الفتاكة كانت تحل أين حل الاستعمار والجيوش الفرنسية في الجزائر، ومن خلال ما سيق يتسرب الشك ؟ هل كان ظهورها بعض الأوبئة في الجزائر مع قدوم الاستعمار بسبب الإهمال أم متعمدا؟، وإلا كيف نفسر دخول الأوبئة للجزائر فجأة بدايات الوجود الفرنسي في الجزائر، حين انتقلت الأوبئة من الموانئ الأوربية إلى الجزائر مع الغزو، فظهر مرض الكوليرا في التراب الجزائري سنة 1834 بالمرسى الكبير، وقد جلب من قرطاج–اسبانيا- وجبل طارق من قبل المهاجرين الأوربيين القادمين إلى الجزائر.

كانت الرقابة الصحية في الجزائر في بدايات العهد الفرنسي غائبة والحجر الصحي الذي يتغنى به الأوربيون منعدما، لينتقل بعدها وباء الكوليرا من المرسى الكبير إلى وهران فتلمسان ومستغانم ومعسكر، بل وادخل للجزائر بواسطة سفن حكومية فرنسية؛ فقد دخل مع سفينة حكومية فرنسية تدعى تريتون من طولون رست بالجزائر وجلبت الكوليرا معها، كذلك جلب مع سفينة من مرسيليا تدعى شيمان (خياطي، 2013، صفحة 157).

www.manaraa.com

3.1.3. القوانين الاستثنائية عنوان التمييز العنصري:

نعم لقد جلب الفرنسيون للجزائر كل المآسي، وزادوا عليها أن جعلوا من التفرقة العنصرية أمرا مقننا عبر قانون التمييز العنصري سيئ الصيت المعروف بقانون الأهالي الذي سنته إدارة الاستعمار للجزائر، الذي يعتبر المظهر الأكثر جورا في الظروف الاستعمارية حين قامت الادارة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر بتطبيق الإجراءات الخاصة الاستثنائية خارج القانون العام، والمعروفة بالمخالفات الخاصة بالأهالي.

بقي قانون الأهالي[7] سيء الصيت يتدعم بالقوانين الزجرية من قبل الادارة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر إلى غاية 1944 (Nouschi, 1962, p.56). علما أن تلك الصلاحيات الاستثنائية المعطاة للسلطات الادارية في الجزائر، وهو أمر يخالف القانون في فرنسا، والواقع أن شعار المهمة الحضارية لفرنسا لم يكن موجودا على أرض الواقع، باعتبار أن الرق لم يلغ في المستعمرات إلا سنة 1848 أي بعد سنتين من إلغاءه في الدولة العثمانية (بونو، 2013، صفحة 13)

وفي مقال لعمر بن قدور الجزائري في جريدة الهلال العدد 9 بتاريخ 11جانفي 1907: «لو لم يتم منع تجارة الرقيق، لوقع اليوم ما لم يقع بالأمس، فبعدد ان كنا نسمع بسوق الجمعة محل بيع الرقيق، فإننا نرى الآن استعباد الشعوب،،،إن كانت رحمة شملت الاستعباد القديم فإن تعسفها أحاط بالحرية الجديدة» (قنان، 2007، صفحة 277.).

وقد جاء في كتاب الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي للشريف بن حبيلس حين يتسائل بلسان النخبة عن التفرقة التي تمارسها الإدارة الاستعمارية في التوظيف بين المسلمين والأوربيين فيقول: لو كانت التفرقة تشمل فقط أبناء الأهالي، ممن حرصوا وارتقوا أدراج العلم، ثم حرموا الوظائف لهان الأمر، أما أن يحرم منها أولئك الذين قبلوا التجنيس، بسبب مولدهم، وهو سبب لا يجهر به، فهذا أمر لا من السياسة ولا من الكرم (حبيلس، 2013، صفحة 144)،

إن الاستعمار وأن ادعى التحضر كان يحتقر الجزائريين؛ فكان التنافر فعل ورد فعل، فبوجود أقلية قاهرة وأغلبية مضطهدة نتج عنه بحث الأغلبية عن الهُوية المغايرة والتشبث بها، لتؤكد التمايز عن الأقلية، وبذلك يظهر التنافر باحتقار كل طرف لهُوية الطرف الآخر (ولدخليفة، 2007، صفحة 113)

وقد تشبث الجزائريون بهُويتهم في مواجهة إصرار الاستعمار على محوها إحلال هُوية غريبة محلها، فرغم جهود أكثر من قرن بذلها الفرنسيون لتغيير الواقع بتدمير للمجتمع الجزائري عبر

www.manaraa.com

إذلاله، بكل الوسائل بالتفقير والتجهيل والحد من حريته عبر تقييده بجملة من القوانين التعسفية فأصبح المسلم الجزائري أصبح أجنبيا في بلاده، لكن في النهاية اكتشف الاستعمار أن جهوده لن تغير حقائق التاريخ والجغرافيا، لقد أدت ممارسات الاستعمار بالكثير من نخب الجزائر إلى مغادرة البلاد وفي ذلك يقول محفوظ سماتي: «،،،لقد تألم المجتمع كثيرا من الصراع الذي احدثه الاستعمار، لقد غادرت نخبته، والاقتراب من الوطن يزيد في ألم المنتظر وهو يأمل،،، وان هذا النهار قريب» (سماتي، 2013.، صفحة الغلاف)"

لقد سلب الاستعمار من الجزائريين كل الحقوق المدنية والسياسية، ومع ذلك فرضت عليهم التزامات تساوي التزامات المواطنين الفرنسيين، وكان الأوربيون واليهود فقط من يتمتع في الجزائر بكل الحقوق وزيادة، بفعل القوانين الاستعمارية وبفضل سيطرتهم على الهيئات التي تحدد سياسات القطر والميزانية، والتي يزيد فيها تمثيل غير المسلمين إلى خمس أضعاف عن عدد المسلمين الجزائريين، ومع هذا النظام الاستعماري استطاع 500 ألف فرنسي في الجزائر في الحكم على خمسة ملايين جزائري مسلم بالقنانة الدائمة، إذ بموجب هذه القوانين، تحكم هذه الأقلية الصغيرة الدولة وحدها لمصلحتها الخاصة على شكل امتيازات هائلة للأوربيين ولا يأخذ في الاعتبار حقوق ومصالح الشعب الجزائري الذي هو بالتالي عرضة للتشهير والازدراء من قبل الأوربيين (Claude Collot, 2000, p. 26).

خاتمة:

تاريخيا لا يختلف الاستعمار الأوربي الحديث في همجيته وعدوانيته وأنانيته، عن همجية وقسوة التوسعات الرومانية، فساسة أوربا مع موجة الاستعمار الكبرى الأخيرة لم يجدوا أمام أنفسهم وأمام المجتمع الدولي، أي حرج في الممارسات اللاإنسانية التي انتهجوها ومارسوها على بقية شعوب العالم، انطلاقا من إيمانهم بفكرة المركزية الأوربية التي تمجد العرق والدين الأوربي، واحتقارهم للغير، وهو ما يفسر قضية نقضهم للعهود أو التحايل عليها، فقد كانت الكثير من الاتفاقيات والمعاهدات يكيفها الأوربي حسب ما يقتضيه هواه والمصلحة، في وقت كانت أوربا تدعوا العالم الى محاربة العبودية، وتدعو إلى معايير موحدة لحقوق الانسان ودعت لاحترام المثل العليا وحقوق الفرد والجماعة؛ لكن وفي الواقع كانوا ينطلقون من ازدواجية للمعايير الأخلاقية، وأخطر من ذلك أنهم بحثوا عن المبررات الاخلاقية والتاريخية لأعمال الابادة والاستعمار التي مارسوها على الشعوب الأخرى وتلك المبررات كانت تحمل دلالات عنف عارم، فقد كانوا يرون في انتهاج سياسة

www.manaraa.com

الإبادة على شعوب أمريكا وإفريقيا واستراليا خدمة للإنسانية، فكانت النتيجة أن قوضت حضارات، وأبيدت شعوب كثيرة في القارة الأمريكية وفي استراليا، وشملت تلك الممارسات استغلالهم البشع للشعوب المقهورة، كل ذلك تحت مرأى ومسمع النخب الأوربية المثقفة، التي ساهمت بشكل أو بآخر في إبادة شعوب وثقافات أخرى، عبر تشجيعها للاستعمار أو عبر بالسكوت المعبر عن الرضى لكن التاريخ لا يرحم فقد بقيت تلك الحقب المظلمة التي صاحبت التوسع الأوربي في العصر الحديث وصمة عار في تاريخ أوربا.

الاحالات والتهميش:

(1) المركزية الأوربية، المصطلح الذي يشير إلى كل المعتقدات لدى الأوربيين التي تسلم بفكرة تفوق الأوربيين على غير الأوربيين دينا وعرقا وبيئة وثقافة، ومن ذلك أن الأوربيين ويعتقدون أنها حقائق، هذه المعتقدات، غالبا ما تقبل لأسباب لا علاقة لها بالأدلة، فالمعتقدات مغروسة في الثقافة الاكاديمية. ينظر: جي. إم . بلاوت : **نموذج المستعمر للعالم، الانتشار الجغرافي وتاريخ المركزية الأوربية**، تر: هبة الشايب، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010، ص. ص.26. 28 .

(2) ولد ألكسيس دو توكفيلAlexis de Tocqueville في باريس يوم 29 جويلية 1805 من عائلة نورماندية وحصل على شهادة الليسانس في1926، بدأ حياته العملية كقاض1827، توسعت مداركه بفضل الزيارة الرسمية 1831-1832 للولايات المتحدة الأمريكية، يعتبر دو توكفيل مؤرخ ومنظر سياسي فرنسي. اهتم بالسياسة في بعدها التاريخي. أشهر آثاره: في الديمقراطية الأمريكية، والنظام القديم والثورة. كان توكفيل ناشطاً في السياسة الفرنسية كلف من قبل الحكومة الفرنسية بعدة مهمات خاصة في الجزائر. كتب مجموعة تقارير عن الجزائر في السنوات التالية 1837- 1841 – 1847. توفي 16في افريل 1859 ينظر كتابه «نصوص عن الجزائر» مرجع سابق.

(3) فريدريك إنجلز ولد في 28 نوفمبر 1820 في بارمن- فوبرتال في بروسيا (ألمانيا) قبل توحيد إمارات ألمانيا ، بلندن .كان فيلسوف ورجل صناعة ألماني يُلقّب بأبو النظرية الماركسية إلى جانب كارل ماركس. اشتغل بالصناعة وعلم الاجتماع في عام 1845، نشر كتابه حالة الطبقة العاملة في انجلترا، اعتمادا على ملاحظاته وأبحاثه الشخصية في عام 1848، أصدر مع ماركس، البيان الشيوعي، ساعد كارل ماركس ماديا من أجل أن يكتب هذا الأخير كتابه الرأسمال، وتوفي في 5 أغسطس 1895. وكيبيديا 19—10 –2019.

(4) كارل ماركس فيلسوف ألماني يهودي الأصل، منظّر اجتماعي. ولد بمدينة تريز في ولاية رينانيا الألمانية عام 1818م . قدم مع إنجلز فكرة الاشتراكية كتطور حتمي للبشرية وفق المنطق الجدلي وبأدوات ثورية، فكانت مجمل أعمالهما تحت اسم واحد وهو الماركسية أو الشيوعية التي تقوم على مبدأ الإلحاد وأن رأسّ المال والمادة هي كل شيء في العالم، ويفسر التاريخ من خلال الصراع بين الطبقات والعامل الاقتصادي، أصدر مع صديقه انجلز البيان الشيوعي (1848). انتقل ماركس إلى ندن في مايو 1849، حيث أمضى بقية حياته وقد تم نشر أول مجلد عن كتابه رأس المال في عام 1867، والذي أتم الباقي منه صديقه انجلز توفي ماركس بلندن 1883م. وكيبيديا19-10-2019.

(5) بيدرو نافارو1460 1528 بحار إسباني ومهندس عسكري. عمل لخدمة ملك إسبانيا وبعدها ملك فرنسا. قاد احتلال اسبانيا لوهران 1509 وفي سنة 1910سقطت بجاية بيد الاسبان وفرض نافارو على حاكم الجزائر1510 التنازل على جزيرة البنيون المتاخمة للعاصمة وبذلك تحكم الاسبان في العاصمة.

(6) وليام شالر William Schaller سفير أمريكا في الجزائر في الفترة 1816-1824.

(7) قانون الأهالي(الانديجانle code de l'indigénat): قدم أولا عام 1871، كمشروع في عهد الحاكم دوقيدون Louis Henri de Gueydo، لكنه لم يتابع. وفي سنة 1881 صدر تعميم لهذ المرسوم (مؤقتا لمدة سبع سنوات، لكن المؤقت أصبح دائما)، قامت الإدارة الفرنسية بتعميم تطبيق قانون الاهالي في الجزائر، واتفقت على تسميته بقانون "الأنديجينا"، أي الأهالي، وبعد عشر

www.manaraa.com

سنوات من صدوره، أضافت له الإدارة الفرنسية بنودا، أكثر تشددا في حق الجزائريين، وأصدرته في 28 يونيو 1881، على شكل مرسوم تنفيذي، وفي عام1882حدّدت الإدارة 41 مخالفة يُعاقب عليها الجزائريين، وهي مجموعة المخالفات والعقوبات والتي لا تتعلق إلا بالجزائريين المسلمين، ويعتبر هذا النظام استثنائيا يتغير حسب العرق، يحتوي على أفعال يعاقب عليها في الجزائر، ولا تعتبر ذات خطورة بالمتروبول، وهذا القانون تثبت وضعا قانونيا دونيا للأهالي المسلمين (الأنديجان). ينظر- سباعي سيدي عبد القادر: **قانون الأنديجينا الوجه الأخر لقانون السود** ، مجلة دراسات، مجلة محكمة، جامعة بشار، مج 5 ، العدد 2 ديسمبر 2016.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ألكسيس دو طوكفيل،. (2008). نصوص عن الجزائر في فلسفة الإحتلال والإستيطان. (إبراهيم صحراوي، المترجمون) الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
2. اوليفي لوكور قرانميزون. (2008). الاستعمار الإبادة تأملات في الحرب والدولة الاستعمارية. (نورة بوزيدة، المترجمون) الجزائر: دار الرائد للكتاب.
3. اوليفي لوكور قرانميزون. (2008). الاستعمار الإبادة تأملات في الحرب والدولة الاستعمارية. (نورة بوزيدة، المترجمون) دار الرائد للكتاب.
4. إيف بونو. (2013). مجازر استعمارية. باريس : لا ديكو فيرت . جيب.
5. بياربيان. (2013). سطو على مدينة الجزائر تحقيق في عملية نهب 1830م. الجزائر: منشورات دار الشهاب.
6. جمال قنان. (2007). نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500- 1830 (الإصدار الثانية). الجزائر: دار هومة.
7. جمال قنان. (2007). نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500- 1830 (الإصدار الثانية). دار هومة .
8. جيريمي بلاك. (2013). تاريخ الدبلوماسية (الإصدار الطبعة الأولى). (أحمد علي سالم، المترجمون) أبو ظبي، الامارات العربية المتحدة: هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة ،مشروع كلمة .
9. حسين محمد نصار.وآخرون. (2009). الموسوعة العربية الميسرة (الإصدار الثالثة). صيدا. بيروت، لبنان: المكتبة العصرية.
10. راغب السرجاني. (2009). الحروب الصليبية من البداية الى عهد عماد الدين زنكي (الإصدار الثانية). القاهرة مصر، مصر: مؤسسة إقرأ.
11. شريف بن حبيلس. (2013). الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي . (عبد الله حمادي فيصل الاحمر. وسيلة بوسيس، المترجمون) الجزائر: مطبعة المسك .
12. عبد الحميد بن أشنهو. (2013). الدولة الجزائرية في 1830 مؤسساتها في عهد الأمير عبد القادر م. (لعراجي نور الدين، المترجمون) الجزائر: موفم للنشر .
13. عبد الحميد زوزو. (2008). نصوص و وثاق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
14. فرد بنور. (2008). المخططات الفرنسية تجاه الجزائر 1782-1830م. الجزائر: مؤسسة كوسكار للنشر والتوزيع:الجزائر.
15. محفوظ سماتي. (2013.). الشبان الجزائريون مراسلات وتقارير 1837-1918 . (محمدالمعراجي وعمر المعراجي، المترجمون) الجزائر: وزارة المجاهدين :.
16. محمد السماك. (1993). الصهيونية العالمية. بيروت ل، بنان : دار النفائس.
17. محمد الشريف ساحلي. (2013). تخليص التاريخ من الاستعمار. (محمد الشريف بن دالي الحسين، المترجمون) الجزائر: دار القصبة للنشر.
18. محمد الشريف ساحلي. (2013). تخليص التاريخ من الاستعمار. (محمد الشريف بن دالي الحسين، المترجمون) دار القصبة للنشر.
19. محمد العربي ولدخليفة. (2007). المسالة الثقافية وقضايا اللسان والهوية. الجزائر: منشورات ثالة.
20. مصطفى الأشرف. (2007). الجزائر الأمة والمجتمع. (حنفي بن عيسى، المترجمون) الجزائر: دار القصبة للنشر .
21. مصطفى الأشرف. (2007). الجزائر الأمة والمجتمع. (حنفي بن عيسى، المترجمون) دار القصبة للنشر الجزائر.
22. مصطفى خياطي. (2013). الأوبئة والمجاعات في الجزائر. (حضرية يوسفي.، المترجمون) الجزائر: منشورات .ANEP.

www.manaraa.com

23. منير العكش. (2002). حق التضحية بالآخر، امريكا والإبادات الجماعية (الإصدار الأول). : بيروت، لبنان: رياض الريس للكتب والنشر.

24. منير العكش. (2009). إمريكا والإبادات الثقافية: لعنة كنعان الانكليزية (الإصدار الأول). بيروت –لبنان.: رياض الريس للكتب والنشر.

25. مولود قاسم نايت بلقاسم. (2013). شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830 (الإصدار الأول). برج الكيفان، الجزائر: دار الأمة.

26. نصر الدين سعيدوني. (1975). الخزينة الجزائرية. المجلة التاريخية المغربية(الثالث).

27. وليام شالر. (1982). مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1816- 1824. (:ترجمة وتعليق وتقديم ، إسماعيل العربي، المترجمون) الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

28. يحي بوعزيز. (2009). علاقات الجزائر الخارجية مع مماليك أوروبا 1500-1830م. الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع.

29. يحي بوعزيز. (2009). مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية. 2009، الجزائر،: دار البصائر.

30. يوسف حميطوش. (2013). - يوسف حميطوش: منابع الثقافة السياسية والخطاب الوطني عند كل من مصالي الحاج وفرحات عباس. الجزائر : دار الامة للطباعة والنشر والتوزيع ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية, الرغاية .شركة .الجزائر .

31. andré Nouschi .(1962) .La Naissance Du Nationalisme Algérien , . ,Les Edition De Minuit.

32. Claude Collot, J.-R. H. (2000). Mouvement National Algerien Textes 1912-1954. : Paris: L'harmattan.

كيفية الاستشهاد بهذا المقال وفق نظام توثيق الجمعية الأمريكية لعلم النفس APA الإصدار السابع (7):

سامية، رحال ، وياسمين، بوعزدية. (2021). الوجه الآخر للمعايير الأخلاقية الأوربية: السياسة الفرنسية لتغيير هُوية الجغرافيا - الجزائر - أنموذجا. *آفاق فكرية*، سيدي بلعباس (الجزائر)، *9* (3)، 340-357 ؛ رابط المجلة *https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/396*

www.manaraa.com